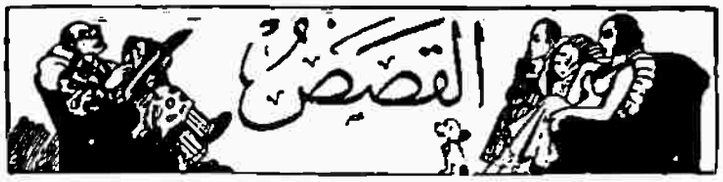

صنع الأدب الروسي الحديث :

بعد المعركة

للكاتب الروسي الكسي تولستوي

بقلم الأديب فريد وجدي الطبري

كان صديق إيجور دريموف شخصاً متزناً يسود عليه الجد . أحب والدته ماريا بوليكا ديوفنا ريوفنا ووالده إيجور إيجونوفتش فكان يقول ، « أبي رجل يحترم نفسه ، وكثيراً ما علمني أن أفتخر بروسيتي » وخطب فتاة في تلك المدينة الصغيرة . وكثيراً ما يتحدث الجنود في الميدان ، وبين فترات القتال عن الزوجات والحبيبات ، يتحدثون في الملاجئ ، وهم في مأمن من البرد القارس ، ومعدهم ملأى ، ونور الشمع يوحي بالحديث . فتسمع كل ناحية من ذلك الموضوع ، مثلا « أساس الحب الاحترام والحب مجرد عادة ، فالإنسان يوزع حبه بين زوجته ووالديه وحيواناته » ويقول آخر « يبدأ الحب عند مايفور دمك ، وشعور المحب كشعور المخمور والجذل المرح » ويستمر الحديث ساعات ، ولا ينتهي إلا بكلمة أو أمر من أحد الضباط .

أما إيجور دريموف فلم يشترك كثيراً في مثل هذه الأحاديث وإذا أشار إلى خطيبته كان ذلك بأسلوب غير مباشر ، فتراه يقول مثلا « فتاة طيبة تنتظر صديقها حتى ولو جاء على رجل واحدة » ولا ينقاد إلى التحدث عن مغامراته الحربية . وعندما يمتدحه أحد أصدقائه يقول « الأفضل أن لا تتحدث عن هذه الأشياء » وكل ما عرفناه عنه كان من أحاديث زملائه ؛ كنا نتوسل إلى سائقه تشفيلوف ليقص علينا أخباره ، فيصف لنا مثلا كيف كان ينقض على العدو في الصفحة مطلقا عليه ألسنة اللهيب ، فلا يكاد يصل إليه حتى يصرعه . وكم من معركة خاض غمارها وعاد سالما بعد أن يكون فقد عددا من رفاقه وقد أبلى بلاء حسنا دائما وقصص شجاعته عديدة .

وعلى هذه الحال حارب الملازم إيجور دريموف إلى أن أقعده الحظ . كان ذلك في معركة كيسرسك بحيث كان النصر في بادئ الأمر للألمان ، واشترك فيها بدبابته ، وما كاد يدخل المعركة حتى قتل اثنان من رجاله . ثم اشتعلت النار في الدبابة . أما السائق « تشفيلوف » فقد تمكن من مغادرة الدبابة المشتعلة ، وسحب الملازم الذي كانت ثيابه تحترق وهو مغمى عليه وأخيراً انفجرت الدبابة وتناثرت قطعا إلى مسافة تزيد على ١٥٠ قدما وأقبل تشفيلوف على الملازم ليطفئ النار المشتعلة في ثيابه وجره إلى مكان أمين . ويقول تشفيلوف « إنما فعلت ذلك لأني شعرت أن فؤاده مازال ينبض بالحياة » عاش إيجور دريموف حتى ولم يخسر بصره لكن تشوه وجهه جدا حتى أن العظم ظهر في بعض الأماكن ، وبقي في المستشفى ثمانية أشهر ، وأجريت له عدة عمليات متوالية لإعادة أنفه وشفاهه ، وأجفانه وأذنيه . وعندما نزعت عنه الأربطة بعد الشهور الثمانية ، وكانت معالم وجهه قد تغيرت تماما حتى لم يعد فيه شبه للصورة التي كان عليها قبلا . ولما ناولته الممرضة المرآة ليرى وجهه أدارت وجهها بسرعة كي لا يلاحظ الدموع في عينيها من شدة تأثرها بمنظر وجهه . وأعاد إليها المرآة قائلا « كان من الممكن أن تكون المصيبة أكثر مما هي الآن ، على كل حال يكفي أني بقيت حيا » ولم يطلب المرآة مرة أخرى ، بل اكتفى بلمس وجهه الجديد كأنه يعود نفسه أن تألفه . وسرح من الخدمة العسكرية بناء على تقرير طبي . لكنه ذهب إلى قائده ورجاه أن يسمح له بالالتحاق بفرقته ثانية . ودارت هذه المحادثة بينهما .

تصحيح آية :

كتب إلينا كثيرون يصححون كلمة جاءت في المقالة القيمة (محمد والأمن العام) لصاحب العزة علي حلمي بك على أنها آية ، وهي « ولا تكتموا الشهادة وأنتم تعلمون » على أنها ليست بآية ، والآية هي « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » .

« لكنك أصبحت غير قادر على الخدمة » « لا يا سيدى بل لقد أصبحت مخلوقا غريب المنظر ولا أرى كيف يجعلنى ذلك غير صالح للقتال » ولاحظ أن القائد كان يتجنب النظر إليه أثناء الحديث ، فابتسم بشفتيه الاصطناعيتين الرقيقتين . أعيد إلحاقه وأعطي أجازة مدتها ثلاثة أسابيع ، فذهب ليقضيها فى البيت ، وكان ذلك فى الأول من آذار . ولدى وصوله اقترب محطة من قريته ، حدثته نفسه أن يستأجر عربة تقله إلى البيت لكنه عاد فقرر أن يقطع المسافة وهى اثنا عشر ميلا مشيا .

كان الثلج كثيفا والهواء الرطب يهب باردا جداً ، فيتخلل أطراف معطفه محدثا صوتاً كله حنين إلى البيت ، ووصل القرية عند الغروب .

رأى وطنه الصغير بخير والطيور على الأشجار تغرد ؛ أمامه الآن بضعة بيوت ، والبيت السادس يسكنه أبواه . اقترب من البيت ووقف عند الباب لا يجرؤ على الدخول ثم ذهب إلى جانب البيت ونظر فى النافذة وكان الثلج يصل إلى ركبتيه . رأى أمه على ضوء المصباح الخافت تعد المائدة للعشاء . وبدت أمه كما يعهدها تماما — طيبة القلب ، هادئة ، وعلى رأسها تلك القبعة الصغيرة نفسها وقد تغيرت عما كانت عليه عند ما رآها لآخر مرة ، إذ انحنى ظهرها قليلا . « ليتنى كتبت لها قبل مجيء ، ليتنى كتبت بضعة أسطر كل يوم » كانت تضع الحليب وقطعاً من الخبز الأسمر والملاعق والملح ، ثم وقفت مكتفة الأيدى وساد عليها التفكير أو الحيرة ؟!

شعر إيجور دريموف وهو يراقب والدته من النافذة أنه لا يستطيع أن يوجه إليها هذه الصدمة إذا عرفت أن هذا المخلوق المشوه هو ابنها ! ووطد العزم على ألا يعرفها بنفسه ، وقرع الباب . سألت الوالدة « من بالباب » ؟ فأجاب « أنا الملازم جرينوف أحد أبطال الاتحاد السوفيتى » .ووجد أن خفقات قلبه قلّت وزال عنه القلق عند ما رأى أن والدته لم تميز صوته . حتى هو نفسه أخذ يلاحظ أن صوته قد تغير بعد تلك العمليات ومن جراء الأهوال ، فقد أصبح صوته خشناً وحاداً . وقالت الأم « ماذا جرى؟ » فيجيب « أحمل رسالة إلى ماريا بوليكاربوفنا من ابنها الملازم الأول دريموف » ولما سمعت ذلك ضمته بإحدى يديها وصافحته بالأخرى بحرارة قائلة « إذا ولدى ايجور مازال حياً ؟ تفضل ادخل وحدثنى عنه » جلس إيجور دريموف إلى المائدة حيث كان يجلس وهو صغير يوم كانت رجلاه لا تصلان الأرض وأمه تخاطبه — « قل يا أعز الناس لدى » — أخذ يحدثها عن ولدها أنه بخير وصحته جيدة وأنه سعيد . لكنه لم يذكر لها المعارك التى خاض غمارها بدبابته . وتقاطعه قائلة — « قل لى الحياة فى الجبهة فظيعة رهيبة ، أليس كذلك ؟ » . « نعم أيتها الوالدة ، إن الحرب كلها بطائع وويلات ، ولكن الإنسان يألفها مع الأيام » .

بعد قليل جاء والده وقد بدا أكبر مما كان وذقنه بيضاء وكأنما اعتراها غبار أو طحين مسح الثلج عن رجليه وخلع معطفه المصنوع من الفراء وصافح الضيف . فى هاتين اليدين الكبيرتين يلمس الإنسان الأبوة اللطيفة ! وإيجور دريموف يعرف هاتين اليدين فطالما لمسهما ! جلس والده ليستمع إلى ذلك الجندى الذى غطى صدره بالأوسمة دون أن يسأله أى سؤال . وكلما طال الوقت على دريموف وأهله لم يميزوه كلما ضاق صدره ويهم أن يقول « ميزونى تتعرفوا إلى ، بعد أن أصبحت إنسانا غريب المنظر » ، لكنه يتراجع .

مما يبعث السرور فى نفسه ، أنه يجلس على مائدة أبيه غير أنه فى نفس الوقت كان كمن خاب أمله والآن حان وقت الطعام ، فهل لديك ما تقدمه لضيفنا أيتها الأم ؟ » قال الأب هذا ، وفتح جارورا فى طرف الطاولة لا تزال فيه سنارات لصيد السمك فى علبة كبريت فارغة تخص ولده . وفاحت رائحة مألوفة ، هى رائحة البصل والخبز . وأخرج زجاجة خمر صغيرة بقى فيها ما يملأ قدحين صغيرين فقط . وبينما كانوا يأكلون ، لاحظ دريموف أن أمه تحاول أن ترى كيف يمسك الملعقة ولما التقى نظرهما غضت طرفها وعلى وجهها مسحة من الحزن والشفقة ، فابتسم . طرقوا مواضيع عديدة . المزروعات والمحاصلات ، الأمل بانتهاء الحرب فى الصيف « ولماذا تعتقد يا سيد إيجور فتش بأن الحرب قد تنتهى فى هذا الصيف ؟ » .

فأجاب الأب « الشعب هائج ، بعد هذه المصائب التى سببها لهم الألمان ، لن يقف فى وجههم شيء ، وهنا قالت ماريا « لم تخبرنا متى يأتى ولدنا فى أجازة بعد أن مضى ثلاث سنوات على غيابه عنا ؟ ربما تغير شكله كثيراً الآن وربما كان له شاربان ويعيش

كهؤلاء الذين يقطنون فى جوار الموت . قد يكون صوته تغير؟»

« ربما لا تعرفينه متى عاد »

وضعوا له فراشاً فى إحدى زوايا الغرفة ، قريبا من الوقدة ؛ فى تلك البقعة التى يعرف كل حجر فيها وكل ثقب وعقدة فى السقف ، ورائحة الخبز ، ورائحة البيت ، الرائحة التى لا ينساها الإنسان حتى ساعة الموت . وهبت رياح شديدة فى الخارج . وكان يسمع شخير والده من وراء الحاجز وكان سهلا عليه أن يتصور أمه ممهدة تصعد الزفرات واللازم مضطجعاً على جانبه ورأسه على يده وقد أخذ يقول فى نفسه : أحقا يا أماه لا تستطيعين أن تعرفينى ؟ واستيقظ فى الصباح على صوت طقطقة الحطب وهو يحترق فى الوقدة ، ورأى أمه منهمكة فى عملها قرب النار وجوربيه قد غسلا وعلقا على الحبل وحذاءه نظف ومسح ؛ وسألته والدته إذا كان يحب الجبنة مع البسكوت . وبعد أن جلس إلى المائدة قال «طلب إلى دريموف أن أبلغ سلامه إلى كاتيا ابنة أندرى سيفانوفتش، فهل لا تزال تسكن قريبا منكم؟»

« نعم وقد أنهت المدرسة فى العام الماضى وهى تعلم الآن . سأدعوها لك» ثم خرجت تدعو كاتيا مانيشكا، وما كاد اللازم يلبس حذاءه حتى جاءت كاتيا تركض ووقفت أمامه ، وها هى عيونها الواسعة اللامعة وحاجباها وقد ارتفعا فى دهشة واستغراب ، وزاد احمرار خدودها المتوردة عند ما ألقت بالشال الصوف الذى كان فى يدها . وتمنى لو يقبل هذه الشفاه اللطيفة . بدت أمامه كما كان يتصورها : عروس المستقبل ، نضرة مرحة ، ناعمة ، تكسوها العافية وقد أضاءت الغرفة عند ما دخلت .

« هل جئتنى بأخبار من إيجور ؟ قل له إنى أنتظره فى الليل والنهار» . أدار وجهه من النور ليراها بوضوح ؛ اقتربت منه لكنها همت بالتراجع عند ما رأت ملامحه . وأراد أن يكشف عن نفسه فى ذلك اليوم وفى تلك اللحظة ولكن لم يفعل : وطلبت إليه أمه أن يجلس ويأكل الكعك مع الحليب .

وتكلم إيجور دريموف ولم يعلق على اشتراكه فى القتال وتجنب أن ينظر إلى كاتيا كيلا يرى انعكاس بشاعته فى عينيها . واقترح أبوه أن يأتيه بحصان يركبه لكنه فضل أن يعود مشيا كما جاء .

لقد تأثر جداً من تلك الزيارة ، وكان فى الطريق يتحسس وجهه ولا يدرى ماذا يفعل بنفسه !

ولما عاد إلى المعسكر اهتم به أصدقاؤه كثيراً وصار يأكل ويشرب ويضحك مثلهم بنشاط وسرور وكأن لم يحدث له شىء . قرر أن يخفى الحقيقة عن أمه . أما ذكريات كاتيا فرأى أن يخرجها من مخيلته كسن تسبب ألما ويجب خلعها .

وبعد أسبوعين تسلم رسالة من أمه :

« تحيات يا حبيبى . ترددت قبل لأنى لم أعد أعرف بماذا أفكر؟ جاءنا شخص من طرفك — شاب لطيف جداً لكن وجهه مخيف . وكأنه كان يرغب أن يمكث قليلا لكنه عدل عن ذلك فجأة . ومنذ تلك اللحظة لم أنم ويبدو لى أن ذلك الشاب هو أنت . أما والدك فيقول بأنى مجنونة . وربما أنا مجنونة إذ لو كان ذلك الشاب ولدنا لقال ذلك ، ولماذا يخفى ذلك عنا ؟ كان له وجه يفتخر به ! ويحاول والدك أن يقنعنى لكن قلب الأم يقول لى ، إنه ولدك ! اكتب لى يا حبيبى إيجور بالله عليك أشفق على وأخبرنى هل كان ذلك صحيحاً أم أنا مجنونة ؟

وأطلعنى صديق دريموف على هذه الرسالة كصديق ولما قص على القصة كانت الدموع تملأ عينيه فيجففها بمنديله . لقد ارتكبت خطأ جسيما أيها القاشم ، اكتب لأمك حالا وأطلعها على الحقيقة واطلب الصفح منها . سيزداد حبها لك وأنت فى هذه الحال وفى اليوم نفسه كتب لأبويه :

« والدىّ العزيزين ، لقد كان ذلك الشاب ولدكم ، أنا ... »

وراح يملأ أربعة صفحات من الحجم الكبير وبخط صغير ، فكتب رسالة تشغل عشرين صفحة من الحجم العادى .

وبعد أيام كنا نتدرب فى الميدان عند ما جاء أحد الجنود إلى إيجور وخاطبه قائلا : يا عزيزى الكابتن يدعوك . وتبعته إلى التكنة التى يسكنها معا ، وهناك سمعته يقول «مرحبا يا أمى هأنذا» ورأيت سيدة عجوزا قصيرة ضئيلة الحجم تعانقه ، وكان هناك امرأة أخرى — لم أر مثل ذلك الجمال حياً يتنفس طيلة حياتى ! ! رفع والدته عن صدره وخاطب الفتاة . « لماذا أتيت يا كاتيا ؟ لقد وعدت ذلك الشاب الذى كنت تعهدينه بأن تنتظريه وليس أنا الذى لم تستطيعى ... » لكنها قاطعته : « إيجور قررت أن أقضى العمر معك ، فلا تبعدنى عنك من الآن » .

(القدس) فريد وجدى الطبرى

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

نشر الاعلانات في الرسائل البرقية

ان الإعلان فى الرسائل البرقية المتداولة بين سكان القطر المصرى باجمعه هو دعاية هامة واسعة النطاق قد هيأتها المصلحة للمعلن الذى يرمى إلى رواج أعماله وللتاجر الذى يبغى التوسع فى تجارته وقد راعت المصلحة أن تكون أجور النشر فى هذه الرسائل زهيدة وفى متناول الجمهور فجعلت كل مائة ألف إعلان بثلاثين جنيهاً مصرياً وكل نصف مليون بمائة وعشرين جنيهاً فضلا عن تخفيض معين فى المائة إذا بلغ المزاد نشره مليونا أو أكثر من الإعلانات .

انتهزوا هذه الفرصة ولا يفوتكم أن تحجزوا من الآن القدر اللازم لكم من هذه الرسائل.

ولزيادة الايضاح اتصلوا : —

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامه — بمحطه مصر

مطبعة الرسالة